تواجه أعنف هجمة للتخريب ونهب المواقع الأثرية

الجـــوف.. ســـوق مفتـــوح لمـافيـا الآثـار

■ القبائل تدير المواقع الأثرية وتشترط التوظيف

> الجـوف محافظة يمنية واسـعة مترامية الأطراف عاشـت علـى أراضيها الكثير من الحضـارات وكانت عاصمة دولة معيـن وتمثل جزءاً هامـاً مـن التاريخ اليمنـي القديم ولذلك فهي تزخر بمواقع أثرية ومعالم تراثية لا تحصى ولا تعد بيـد أنها ورغم ما تملكه من تاريخ موغل في القدم إلا أنها لم تلق حقها من الاهتمام والرعاية وتعريفها للعالم وقد تكون عوامل وظروف عديدة ساهمت في ذلك، ولكن الادهى من ذلك أن هذه المحافظة تواجه أعنف موجة للتخريب والعبث لتلك المواقع الهامة ومافيا الآثار في تلك المحافظة تنشط وبشكل كبير ويتعاون معها عدد كبير من أبناء تلك المحافظة أحفاد من بنوا وأسسوا لتلك الحضارات العريقة.

فمحافظـة الجـوف التـي لا تلتفت إليها وسـائل الإعـلام ولا تلقى الاهتمـام من قبل الدولـة الأمر الذي جعـل العابثيـن والمخربين للآثار يشتغلون براحة مطمئنين بأن أحداً لا يستطيع إيقافهم عند حدهم فما الذي يحصل للمواقع الآثرية في الجوف، ماهي حقيقة ما يتداوله الناس حول نشـاط مافيا الآثار في هذه المحافظة وارتباط أشـخاص من أبناء المحافظة بأشـخاص أجانب كانوا أو عرباً وأين الدولة من كل ما يجري؟؟!! أسئلة طرحناها على المسؤولين والمختصين في الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

تحقيق / عبدالباسط النوعة

عندمـا سـألنا الوالـد صالـح السـنتين الذي يعمـل في مكتب الآثار بالمحافظة وكذلك إبنه علي السنتين والذي يقول أنه يعمل مستشاراً لرئيس هيئة الآثار والمتاحف في الجوف أكدا أن الوضع في المحافظة بالنسبة للمواقع الأثرية على أحسن ما يكون وأن القبائل تحافظ على مواقعها الأثرية ولا تسمح أبداً بأي اعتداء أو نبش عليها وأن حالات النبـش قليلة جداً وفي مواقـع أثرية غير هامة وأن النبش وبيـع القطع الأثرية تراجع وبشـكل كبير خلال العامين الاخيرين.

وأوضحـا أنـه لـم تتـم أي أعمـال تنقيـب أو استكشـاف في المواقع الأثرية للمحافظة منذ زمنٍ بعيـد وإذا أرادت الدولة أن تعمل ذلك فعليها أولاً أن تـرضي الأهـالي وتدخل معهـم في اتفـاق منهم يطالبـون بالتوظيف وبالتالي سـوف يسـمحون للدولة بالتصرف بتلك المواقع.

وشدد صالح السنتين على ضرورة أن يتم إقامة متاحـف في الجـوف حيث لا يوجـد واحد في هذه المحافظة الغنية جداً بمواقعها الآثرية.

وأشارا إلى أن هناك قطعاً أثرية يتم استخراجها من قبل بعض المخربين وبيعها لتجار الآثار وهذا »كمـا قالا« موجـود في كافـة المحافظـات، ونفيا علمهمـا بالمكان الذي تبـاع فيه هذه القطع ولمن، إلا أن »عـلي صالـح« يقـول أن الكثير مـن القطع المسروقة تهرب إلى صنعاء وتحديداً إلى سوق الملح وهناك يتم تصريفها وبيعها.

واختتمـا حديثهما بالقـول أن المواقع الأثرية في الجـوف يقدر عددها بـ« 200»موقع ومعظمها مواقع واسـعة جداً ومع هذا الحراسات الموجودة لتلك المواقع قليلة جدا« 17 »حارساً فقط وبالتالي هناك الكثير من المواقع بدون حراسة وهي عرضة للعبث والتخريب ولا يسـتطيعون هم أو زملاؤهم حمايتها بسـبب وجـود ثارات وحسـابات قبلية هي التي تحكـم هذه العملية بمعنى أن كل قبيلة لديهـا المواقـع الاثرية التي تعتقد انهـا تابعة لها ومن حقها.

دور الهيئة

اذا كانت المواقع الاثرية في الجوف تدار بالقبيلة وكل قبيلة تتصرف مع هذه المواقع من منطلق انها تابعـة لها والدولـة خارج الحسـبة ولا يوجد لها حضور فماذا يقول الاخوة في هيئة الآثار؟؟!!

الاخ مهند السياني رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحـف يقـول: مايجـري في محافظة الجوف من نبش وعبـث في المواقع الاثريـة شيء لا يمكن تصوره يشـيب له الرأس مـع أن الهيئة تمتلك في الجـوف ومارب كوادر يفـوق عددها ماهو موجود في بقيـة المحافظات وقد التقيت الاسـبوع الماضي بمديـر عـام الآثـار في الجوف وطلبـت منه خطة ومقترحـات مـن أجـل تغيـير الاسـلوب القائـم بالنسـبة للتعامل مـع المواقع الاثريـة خاصة أن المحافـظ متحمـس للتعـاون معنـا ولكـن يوجد اشـكالية كبيرة في الجوف تتعلـق بملكية الاراضي حيث يقـوم البعض مـن ابنـاء المحافظة خاصة من يمتلكون وجاهات قبلية باحتجاز مسـاحات كبـيرة مـن الاراضي ويسـورونها على انهـا املاك خاصـة بهـم ويعملـون بها مـا يشـاؤون فتراهم يحفـرون وينبشـون بحرية تامة حتـى في الليل لا يتوقفون نرى كشـافات مضاءة على رؤوسـهم والحفـر يسـتمر عـلى قـدم وسـاق والدولـة كما تعلمـون دورها ضعيف في هـذه المحافظة وهو ما سـهل على أولئك العابثين المهمة ووفر لهم اجواءً ملائمة للمزيد من التخريب والعبث.

والغريـب في الموضـوع أن رئيـس الهيئة وبقية المسؤولين الذين التقيناهم يعلمون علم اليقين أن الكثير من القطع التي تسرق من مواقع في الجوف أو مـارب أو غيرها تباع في سـوق الملـح ومع ذلك لا نـرى تحركا مناسـبا للحد من هـذه الظاهرة وأن سـوق الملح يقـع في صنعـاء حيث توجـد الدولة بأجهزتهـا ومؤسسـاتها وهي قوية عـلى غرار ما هو موجود في الجوف ومارب، والكل سمع وقرأ عبر الثورة ذلك الدبلوماسي الغربي الذي استطاع أن يشـتري الكثير من القطع الاثرية النادرة وعندما سـألته الثـورة في لقـاء خاص عندمـا اهدى تلك القطـع لهيئة الآثار من ايـن حصل عليها، أوضح أنه اشـتراها من سـوق في صنعاء وألمح إلى سـوق الملح بـل أن الدبلومـاسي أكد لنا أنـه اخبر قيادة الهيئة من أين اشترى هذه القطع.

"السياني: مايحدث في الجوف يشيب له الرأس.. وحراس مواقع أثرية يشاركون في العبث والمتاجرة

" جار اللّه: تم إبلاغ الجهات الأمنية عن سمسار عربي يشتري القطع بملايين الدولارات وضح النهار

" البركاني: المواقع تؤجر بالمتر للمهربين..

فرئيـس الهيئـة الاخ مهند السـياني يؤكد أن القطـع الاثرية يتـم المتاجرة فيها في سـوق الملح وقطـع اثرية كثيرة تأتي مـن الجوف يتم تهريبها إلى سـوق الملح حيـث توجد مافيـا محلية تعمل عـلى شراء تلـك القطع وتتصرف بهـا وتهربها إلى خـارج البلد ودور الهيئة عندما تسـمع أو تتلقى بلاغا تتحرك على الفور.

وكشـف السـياني عـن وجـود شـخصيات اجتماعيـة محليـة ونافذين متورطـين في عملية الاتجـار بالآثـار بـل يشـترون القطـع الاثريـة ويسـاعدون المهربين وكـذا من ينبشـون المواقع الاثرية.

حاميها حراميها

وحـول مسـؤولية الهيئـة ودورهـا مـن كل ما يحدث يقول: نحن لسـنا جهة ضبط فقط عملنا أن نقـوم بإبـلاغ الجهـات المعنية بالضبـط وهم يتحملون المسؤولية وهنا نود التنويه بأن القضاء نفسـه غير مـدرك لأهمية الآثـار والحفاظ عليها فمـن الشيء المحـزن أن هنـاك أحكامـاً قضائية جرمت بعض المهربين في مـادة وفي مادة ثانية من الحكم نفسه تلزم الهيئة بشراء القطع الاثرية من هـؤلاء المهربين وقد نفاجـأ مسـتقبلا أن يلزمونا بدفع غرامات القضاء والمحاكم للمهربين.

ومـا لم نكـن نتوقعـه أن يكون المسـؤولون عن حماية الآثـار والحفـاظ على المواقع الاثرية هم انفسـهم العابثون واللصـوص حاميها حراميها

"سوق الملح بصنعاء وصفقات مشبوهة لتجار وسماسرة الآثار

حيث اعـترف السـياني بوجود حـراس للمواقع الاثرية وموظفين تابعين للآثار يعملون في المتاجرة بالقطع الاثرية بل والسـطو على مواقع ونبشـها واسـتخراج قطع اثرية يقومون ببيعها في الاماكن التي يبيع بها بقية العابثين وقد تجدهم يأتون إلى الهيئة محاولين بيع قطع اثرية لها.

لافتـا إلى أن قيـادة الهيئـة اكتشـفت اختامـاً خاصـة بمكاتـب الآثـار بالمديريـات وذلـك في محافظتـي الجـوف ومـارب وهـذا غير مناسـب وقـد تكون هـذه الختومـات هي التي تسـتخدم في تهريـب القطـع الاثريـة من تلـك المحافظتين إلى صنعـاء ولهذا سـوف يتم ابـلاغ كافة الجهات المعنيـة والأمنيـة بعـدم اعتمـاد تلـك الاختـام والاعتماد فقط على اختام فـرع الآثار بالمحافظة أو ختم ديوان الهيئة بصنعاء.

وجهاء الجوف قدموا مبادرة

> والتقينا الدكتور عبدالرحمن جار الله وكيل الهيئة العامـة للآثار والمتاحف الذي أوضح أن ما يحـدث في الجـوف للمواقع الأثرية مـن تخريب وعبـث أمر يتجـاوز حـدود المنطـق والعقل فقد سبق وتقدم أحد المشايخ بمبادرة لحماية المواقع الأثريـة في الجوف بحكـم أن له تأثـيراً على أبناء المحافظة وفعلا قابل وزير الثقافة السـابق وطرح عليـه المبـادرة ولكن لـم يتحمس الوزيـر لمبادرة ذلك الشـيخ الأمر الذي حدا بالشيخ التخلي عن المبادرة ومغادرة صنعاء دون نتيجة.

وأكد جار اللـه أن بعض أبناء الجوف أصبحوا يـرون في نبش المواقـع والاتجار بالقطـع الأثرية مصـادر للثراء خاصة أن هنـاك من يتعاون معهم من مافيا الآثار من داخل البلد وخارجه.

وأضـاف: أبلغـت الجهـات الأمنيـة قبـل فترة بوجـود أحـد الأشـخاص مـن جنسـية عربيـة يتواجد بصورة مستمرة في سوق الملح ويعمل على شراء القطـع الأثرية بملايـين الريالات حيث وهو على تواصل مع بعـض مخربي ونابشي الآثار من الجوف وهناك اسماء معروفة لدينا تعمل في بيع وشراء القطع الأثرية وأخرى تتوسـط وتوفق بين البائع والمشـتري وكل تلك العمليات تتم في سوق الملح وهنـاك تجار ما تسـمى الانتيكات الفضية والنحاسية التقليدية متورطون في عمليات البيع والشراء.

وحمـل جـار اللـه المسـؤولية لجهتـين الأولى المالية التي ترصد امكانيـات زهيدة للهيئة كذلك للأجهزة الأمنيـة لا تقوم بمسـؤولياتها فموظف الهيئـة يمتلـك الفرشـاة والقلم بينمـا العابثون والمخربـون يمتلكـون الأسـلحة المتنوعـة ولهذا الجهات الأمنية والعسكرية هي من تمهد الطريق أمـام عمل فرق الآثار وكذلك الهيئة تحتاج إلى أن تصحح عدة أمور لا سيما في الجوانب الإدارية.

وأوضـح الأخ عبدالكريم البركانـي نائب مدير عـام حماية الآثار والممتلكات الثقافية بالهيئة أن المواقع الأثرية في الجوف تتعرض إلى نبش وتدمير عشـوائي على مرأى ومسـمع من كافـة الجهات والسـلطات وذلك بسـبب أن الجوف محافظة لا يتسـطيع أحد دخولها، وقـال البركاني أن المواقع الأثرية في الجـوف أصبحت تؤجـر بالمتر بمعنى يتـم تحديد مسـاحة لأحـد تجار الآثـار من قبل الأشـخاص الذين يسـيطرون على مواقـع أثرية لكـي يعمـل عـلى النبـش أو الحفـر العشـوائي ويكون التحديد بالمتر مقابل مبالغ مادية يدفعها التاجـر لأولئك النـاس ومافيا الآثـار في محافظة الجـوف متواجـدة وبشـكل كبير وفيهـا عناصر أجنبية فهناك بلاغـات تصل إلينا بوجود بعض الأشـخاص من جنسـيات غـير يمنية يمتلكون أجهـزة حديثـة للتنقيـب عـن الآثار واكتشـاف القطـع الأثرية كما أن المخربـين من أبناء الجوف على تعامل مع عناصر من دولة أجنبية.

محمية تاريخية

> وحـول رده على مزاعم بعض أبناء المحافظة بأنهـم يحمـون المواقـع الأثريـة أكـد البركانـي أن تلـك العنـاصر لا تحمـي المواقـع بـل تحمي مصالحهـا التـي تجنيها مـن تلك المواقـع التي اصبحت عندهم كالأراضي الزراعية ينهلون منها قطعـا ويبيعونها ويترزقون مـن ورائها ولذلك هم يستبسلون في حمايتها.

وعن أهمية الجوف ومواقعهـا يقول البركاني: الجوف برمتهـا كنز أثري متكامـل تحوي مواقع أثريـة كثـيرة جدا لا تحـصى ولا تعد هـذه المواقع تحوي بـين طياتها الكثير من الكنـوز الحضارية التي تعـود إلى حقب زمنية تعود لما قبل الاسـلام ولعل الكثير من القطع الأثرية الموجودة في الهيئة أو تلـك التـي تباع في الأسـواق السـوداء هي من الجوف وهي قطـع نادرة جـدا ومتنوعة برونزية وذهبية وأشكالها جميلة جدا.

ودعـا إلى ضرورة اعـلان الجـوف محمية تاريخيـة وتوفـير حاميـات عسـكرية لحمايـة مواقعهـا الأثرية وما بقي بها من كنوز قبل أن يتم سرقة ما بقي منها.

وأكـد البركانـي أن أعمـال التنقيبـات الأثرية أو أي أعمـال لهيئـة الآثـار في المحافظـة متوقفة منـذ ثمانينيات القـرن الماضي ولعل أبـرز المواقع في الجـوف تتمثـل في »السـوداوية- البيضـاء- معين- قرناو- خربة همدان- سحمنة« وغيرها ولا يسـتطيع أي باحث أثري من الهيئة الدخول إلى تلك المواقع.

على كل الأحزاب والقوى السياسية وعلى كل عضو في مؤتمر الحوار الوطني أن يعمل بكل قوة لإنجاح الحوار.. لأنه المخرج الوحيد للشعب اليمني.

عبدربه منصور هادي
رئيس الجمهورية